



يلاحظ البعض حالة الجذب التي يحققها خطاب الغلة والجماعات الغالية خاصة في الوسط الشبابي فيختار الحليم كيف تحصل هذه الحالة رغم السلوكيات التي يمارسها هؤلاء المتطرفون والتي من أعظمها استباحة الدماء المعصومة والجرائم الشنيعة.

والأسباب في ذلك تعود – والله أعلم – إلى الفروق بين خطاب الغلة وخطاب الهداء ونوع الصوت الإعلامي لكل منها.

فخطاب الغلة يحاكي العاطفة ويلامس المشاعر ويحرك الحماس ويتجاوز الواقع بظروفه ومعطياته، فيكون أصحابه متقطعين مستضعفين مثلاً ويبشرون بفتح شرق الأرض وغربها فيتعلق الناس بالأمال ويجيش ويلهب عواطفهم.

والعاطفة عند كافة البشر أمر فطري يولد مع الإنسان؛ فلذلك عامة الناس يتأثرن بهذا النوع من الخطاب ويشدون إلى صاحبه شدًّا.

فأناشيد داعش مثلاً تركز على هذا الجانب. فالنشيد العاطفي والتهييجي الإيقاعي دأب كل الفرق المبدعة من حضرات المتتصوفة إلى لطمييات الشيعة إلى بكائيات الغلة، فصارت تربية الأتباع عندهم تربية المهرجانات والإصدارات وليس تربية العلماء الربانيين.

وأما خطاب الهداء فينطلق من الواقع ولا يتجاوزه مهما ساءت ظروفه ومعطياته ويرنو إلى المأمول من دون انفصال عن واقعه ولا انقطاع في أمله يحاكي العقل والقلب، ويوازن بينهما فتجده يوجه لأصحاب الوعي وهذا أمر مكتسب عند الناس يحدده المستوى العلمي الذي يأتي بعد جهد وتعب فالعلم بالتعلم؛ فلذلك خطاب الهداء لا يؤثر بالذات إلا بجزء من البشر المتعلمين منهم وأصحاب الفهم والثقافة.

خطاب الغلة يعتمد على المزايدات التي تعتمد على تضخيم الشعار على الحقيقة والانتصار الإعلامي على حساب هزيمة الميدان وتضخيم الشكل على حساب المضمون والذي يسفه الآخرين ويتهمهم بدينهم ويحتكر الحق، فالغلة أصحاب كبر.

يغطون جهود غيرهم من الجماعات ويبطرون الحق إن جاء على غير لسانهم ومنظريهم ومناهجهم لسان حالهم يقول: {تَحْنُ أَبْنَاءَ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ} ويقول {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}.

وسياسة المزايدات والكبر هذه سياسة شيطانية ابتدأها من قال {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ} فإبليس زايد وتكبر على آدم بأصل خلقته {خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} والغلاة اليوم يزايدون على الناس بآيمانهم وعقيدتهم فيقول: أنا المؤمن وهو الكافر، أنا الحق وهو الباطل، ورفض الحق إن جاء من شخص لا يؤبه له دأب الجاهلية الأولى؛ إذ قالوا {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْبَيْنِ عَظِيمٍ}.

وبهذه السياسة يكون خطاب الغلاة خطاباً صاخباً يملأ الدنيا ضجيجاً فيلفت الانتباه ويذبح الأنظار ويشعر الآخرين بالدونية والانكماس أمام هذا الخطاب العالي الصاخب.

أما خطاب الهداء فخطاب عادل منصف للآخرين.

تعلموه من كتاب الله؛ حيث أنصف أهل الكتاب فوصف بعضهم بأداء الأمانة {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}.

وصدق كلام بلقيس حين قالت: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذْلَّةً} فقال {وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ}.

ووصف النبي صلى الله عليه وسلم النجاشي قبل إسلامه فقال "إن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد".

ويقول أصحاب هذا الخطاب نتعاون مع بعضنا فيما اتفقنا عليه، وننعزز بعضنا فيما اختلفنا فيه؛ فنجد خطاباً عاقلاً هادئاً لا يعتمد على مبدأ خالق تُعرف فلا يشكل صخباً ولا ضجيجاً لجلب الأنظار.

الخلاصة:

إن خطاب الغلاة قد يحقق نجاحات جزئية لمرحلة معينة، لكن الفشل حليف أصحابه في النهاية كونهم يخالفون السنن الشرعية والكونية بعكس خطاب الهداء الذي سيُكلل بالنجاح كونه خطاب شرعي واقعي منطقي.

الدرر الشامية

المصادر: